

٢٢

صدر صاحبي وعادته بشاشته، فأخذ يمزح ويعيب هيئتي الرثة، فوجهي مغبر شاحب، وطر بوشى من الأمطار فقد شكله وأصبح متهدلا كاسيا رأسي حتى أذني، وبدلتى تقلصت وضاحت؛ فارتفع طرف بنطلوني إلى قرب ركبتى واسترخى جوربي، فغطى حذائي وامتلاء الحذاء بالماء والوحل. وعلى الجملة فإن شكلي كان مضحكا وهيئتي تدعو إلى الشفقة والرتاء.

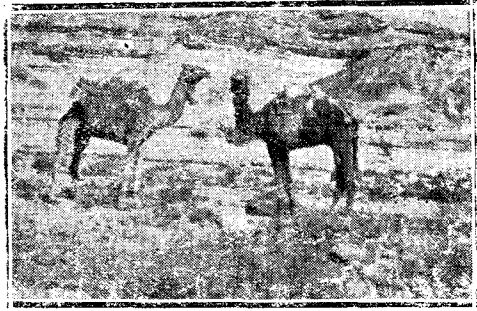
بعد أن فرج صاحبي بعض كربه بأمثال هذه المهاراة سألني فيم أفكر؟ فقلت أني أستغرب وجود هذه الأضواء الشديدة



منظر في وادي دجلة

في هذه البقعة؛ فقال مازحا: لا تستغرب فرما كان الجن قد نصبوا لهم هنا عرسا، فقلت تعوذ بالله فحسبنا ما أصابنا هذا اليوم — وبينما نحن في هذا الحوار سمعنا صوتا غريبا يرن في الفضاء، فوجئنا لهذه المفاجأة الجديدة ثم أنصتنا بشدة خلت معنا أني أسمع ديب الحشرات في بطن الأرض، وأخذنا نحدق يميننا وشمالنا عسى أن ننتهي لمصدر الصوت فلم نر شيئا. وبينما نحن في اضطراب وحيرة رن الصوت في الفضاء ثانية، وكان في هذه المرة جليا: سمعنا «هولت! هولت! هولت! هولت!»، فقلت لصاحبي باهقة قف: فقال ما الخطب؟ قلت يظهر اتنا في وسط معسكر للجنود الانجليزية، فقال ياسوء المصير! فقلت له اطمئن ولا تخف، وبعد قليل تقدم إلينا ثلاثة من الجنود الانجليزية مدجين بالسلاح وسألونا هل معكم سلاح؟ فأجبنا مأخوذين ليس معنا سوى هذه العصا. فقالوا تقدما، فتقدمنا ثم قادونا إلى خيمة قريبة مضروبة بالقرب من المعسكر فوجدنا بها ضابطا شابا على كرسي وأمامه منضدة وهو مشغول بالقراءة في كتاب أمامه. فلما لحنا نظر إلينا شزرا وسألنا وهو يتنأب: هل أتاهاربان من المعسكر؟ فأجبت: لسنا جنودا، فقال بخشونة: اقصد انك أسيران هاربان من المعسكر، فقلت: عفوا لسنا من الاسرى، فقال وهو يملق فينا: من اتما اذن؟ فقلت: انا فلان ووظيفتي لذا وزميلي فلان ووظيفته كذا، فكتب ذلك في ورقة أمامه، ثم قال: ما خطبك؟ فقصصت عليه (البقية على صفحة ٤٢)

وادي دجلة قاطعين عرض المدخل من الجنوب إلى الشمال؛ فكشمت دهشتي وحيرتي وعدلت اتجاهي مرة أخرى، وعدنا فارتقينا التل مرة أخرى وبعد قليل تبين لي أيضا أننا لانزال نسير أمام وادي دجلة أمر غريب محير لم أرفي تعليله الا شيئا واحدا وهو ان رأسي فقد الاتجاه! فلما صرت إلى هذه الحال أشرت على صاحبي بالجلوس للراحة، فقال ولماذا؟ فقلت له قد ضللتنا الطريق مرة أخرى! فاكاد يسمع هذه الكلمة حتى خارت قواه وسقط على الأرض، وأخذت جسمه رعدة شديدة، واقسم أنه لا يبرح مكانه، ثم استولى عليه النعاس فنام نوما عميقا، فجلست بجانبه وأخذت أفكر في الامر وأنا حزين بائس، وقام بعقلي أن أعود إلى الوادي ملتصقا لنا ملجأ نأوى إليه حتى الصباح. بيد أني رأيت قبل تنفيذ هذه الفكرة ان أقوم بمحاولة أخيرة، فخلعت سترتي وألبستها عصاى وغرست العصا بالأرض بجانب صاحبي لتكون علما أستدل به عن مكانه عند عودتي، ثم صعدت أعلى قمة بالقرب منا مستكشفا ماحولنا، فأدرت بصري في الجهات الأربع فلبحت جهة الغرب وراء الأفق ضوءا ساطعا ظننته أول وهلة ضوء مصانع شركة الأسمنت بالمعصرة. فهرولت إلى صاحبي أزف إليه هذه البشري فأيقظته من نومه قائلا لقد أبصرت ضوءا قويا جهة الغرب سوف يهديني طريق السلامة. فلم يكثر لقلبي — ويظهر أن النوم كان قد أراح عقله



منظر في وادي دجلة

وجسمه نوعا. فنهض في نشاط وقال: هيا بنا مغمغا بكلمات لم أتيناها. ثم اعتمد على كتفي بأحدى يديه وأخذنا نسير وقد عولت هذه المرة أن أتبع مسيل الوادي من غير انحراف، فأخذت طريقى مع مجرى السيل خطوة خطوة، وكان جسمي وعقلي متعبين. وعيناي غائرتين ضعيفتين، وعلى الجملة كانت حالتي سيئة، وكنت أشعر بيده على كتفي كأنها حجر ثقيل. فكنت أنقلها من كتف إلى كتف من غير أن أزججه في سكونه — بعد أن سرنا على هذه الحال ساعة ونصفا انكشفت أمامنا أضواء شديدة ساطعة انشرح لها